



رسالة إلى مسؤول

(012) سورة يوسف

خطبة جمعة

2025-12-12

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

يا ربنا لك الحمد، ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، غنى كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومقترع كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك، وكيف نضل في هدايتك، وكيف نذل في عزك، وكيف نُضام في سلطانك، وكيف نخشى غيرك، والأمر كله إليك، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسلته رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، فجزاه الله عنا خير ما جزي نبياً عن أمته.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد، وسلم تسليمًا كثيراً.

مقدمة:

وبعد أيها الإخوة الكرام: قال لي صاحبي يوماً: هل وصلك الخبر؟ هل هتأت فلاناً؟ قلت: خيراً أهنته بماذا؟ قال: صار مسؤولاً، يعني بذلك أنه تسلّم منصباً رفيعاً في مؤسسات الدولة، قلت له: صار مسؤولاً؟! قال: نعم، قلت: وهل كان يوماً غير مسؤول؟ وهل كان يوماً مُدْبلغ سن الرشد غير مسؤول؟! متى كنت يا صاحبي غير مسؤولين؟ ألا تعلم أنك مسؤول؟ وألا تعلم أنني مسؤول؟ كلنا مسؤولون، يا صاحبي هذه الكلمة التي يترنم بها بعض الناس فرحاً، فيقول قائلهم أنا مسؤول كبير، ليست كلمة يليق بها الفرح، وإنما كلمة يليق بها أن تُطرق وتُفكر لأنك مسؤول، بمعنى أنك سُئِلَ ومن سُئِلَ ينبغي أن يُعَدَّ جواباً، وكلما عظمت مكانته عظمت مسؤوليته، فاهنته بماذا؟! اسمعوا إلى قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَفُّهُمْ ۖ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (24)

(سورة الصافات)

تدبروا معي قوله عز وجل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلْتَسْأَلْ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلْتَسْأَلْ الْمُرْسَلِينَ (6)

(سورة الأعراف)

أربعة مؤكدات في آية واحدة لعل الرسالة تصل إلينا أننا سنُسأل جميعاً:
وتعالوا نعيش معاً قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَوَرِّتْكَ لَتَسْأَلَهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (93)

(سورة الحجر)

انظروا إلى هذه التوكيدات الأربعة، التي قلَّ أن تجتمع في آية من آيات كتاب الله تعالى (فَوَرِّتْكَ) القسم، يُقسم المولى جلَّ جلاله أنه سيسأل (فَوَرِّتْكَ) يا محمد صلى الله على نبينا محمد (فَوَرِّتْكَ) وهذه اللام في جواب القسم للتأكيد أيضاً (لَتَسْأَلَنَّ) وهذه نون التوكيد الثقيلة (لَتَسْأَلَهُمْ أَجْمَعِينَ) وأجمعين إعرابها توكيد لفظي، أربعة مؤكدات في آية واحدة، لعل الرسالة تصل إلينا أننا سنُسأل جميعاً عن كل صغيرة وكبيرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا
وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا (49)

(سورة الكهف)

كلمة مسؤول تقشعُرُ منها الجلود، ورسالتني اليوم إلى كل مسؤول، نعم هي إلى كل مسؤول أي إلى كل إنسان، إلى كل مسلم، إلى كل شخص يؤمن بأنه سُيُسأل.

لو جُمِعت كل القيم لكان عنوانها قيمة المسؤولية:

أيها الإخوة الكرام: هل تُدرك أننا مسؤولون فعلاً؟ هل نعي حجم مسؤولياتنا؟ هل نربي في بيوتنا وفي مدارسنا جيلاً يحمل المسؤولية؟ القيم كلها، الصدق، الأمانة، الوفاء، الخُب، والله لو جُمِعت كل القيم لكان عنوانها قيمة المسؤولية، لأنَّ الصادق مسؤول، والأمين مسؤول، والوفي مسؤول، فكل الأخلاق إذا تحمَّل الإنسان مسؤوليته جاء بها، وإذا تخلَّى عن مسؤولياته تركها، من أبسط الأمور إلى أعلى الأمور.

هل ما رأيناه من البعض في الاحتفالات الأخيرة، من البعض ولا أقول الجميع، هل ما رأيناه من البعض في الاحتفالات الأخيرة يحمل روح المسؤولية؟ هل الساحة التي غادرها المُحتفلون وقد امتلأت بالأوساخ، وقد عاثوا في الساحات فساداً، هل هذا الرجل الذي ألقى القمامة في الأرض يحمل المسؤولية؟ لا يحمل المسؤولية! طبعاً إذا سألتَه لماذا ألقيت القمامة في الأرض؟ لن يقول لك لأنني لا أتحمَّل المسؤولية، سيقول لك: لأنهم لم يضعوا مكاناً لرمي القمامة، لن يحمل المسؤولية، إذا قلت له: لماذا دُست على الأعشاب ودُمِّرت النباتات؟ لن يقول لك: لأنني لا أحمل المسؤولية، سيقول لك: هم لم يضعوا مكاناً كافياً للمُحتفلين، سيجعل شماعةً يُعلق عليها، لأنه لا يُريد أن يتحمَّل المسؤولية.

قد يُقال هذه أبسط الأمور يا شيخ، بسيطة كانوا مُحتفلين ومُتهجين، لكن هل يتحمَّل المسؤولية فعلاً؟ يُطلق بوق سيارته في الساعة الثانية ليلاً؟ هل يتحمل المسؤولية فعلاً من يُعرقل السير ليقف مع سيارتين يُحدِّث أحدهما الآخر من سيارةٍ إلى سيارةٍ؟ والسيارات صارت وراءه إلى ما لا نهاية، وسيارة الإسعاف تريد أن تصل إلى المشفى، هل يتحمَّل المسؤولية؟ لا يتحمَّل المسؤولية، المشكلة أنَّ كثيراً من الناس لا يتحمَّلون المسؤولية، لا يُريد أن يحمل مسؤولية، والذي لا يُصلي لا يتحمَّل مسؤولية، لماذا لا تُصلي؟ يقول: حتى يأذن الله، يا أخي قد أذن الله وأمر بالصلاة وقال لك:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَبُوا مَعَ الزَّاكِينَ (43)

(سورة البقرة)

لكن أنت لا تريد أن تتحمل المسؤولية، في أن تنهض وتتترك مغريات الحياة وتقوم إلى صف الصلاة، أنت لا تتحمل المسؤولية.

القرآن الكريم يضعنا جميعاً أمام مسؤولياتنا:

أيها الإخوة الكرام: القرآن الكريم يضعنا جميعاً أمام مسؤولياتنا، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)

(سورة الزلزلة)

مسؤولية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَكُلُّ إِنْسَانٍ لِّلزَّمَانَةِ طَائِرَةٌ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (13)

(سورة الإسراء)

مسؤولية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جُهْلٍ لَّا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ وَمَن تَرَكُنَّ فَأِتِمَّا بَيْرُكُنَّ لِتَفْسِيهِ ۖ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (18)

(سورة فاطر)

مسؤولية، لا تحمل نفس عن نفس أخرى أوزارها، لا تحمل أوزارك لجهة أخرى، لا ثقل فلان، لا ثقل تأمروا عليّ (ولا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ) مسؤولية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (111)

(سورة النحل)

مسؤولية، كل نفس ستجادل عن نفسها، لن يجادل أحد عن أحد يوم القيامة، أنت ستحمل مسؤولية أعمالك، ستقف بين يدي الله فيقول لك: لماذا فعلت؟ لن تقول له عندي مُحامٍ سأوكله أنا لا أستطيع الإجابة عن هذه الأسئلة، ستجيب بنفسك وسأجيب بنفسي، سأتحمل المسؤولية أمام الله، مهما حاولت التملص بها في الدنيا، سأقف أمام مسؤولياتي يوم القيامة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (79)

(سورة النساء)

انظروا إلى القرآن الكريم كيف يُحْمَلُنَا مسؤولياتنا (وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِنْهَا فَلَنْتُمْ مُنْتَلِينَهَا فُلْتُمْ أَتَىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (165)

(سورة آل عمران)

مسؤولية، المشكلة عندك، المشكلة في ملعبك وفي ملعبِي، لا تُعَلِّقْ على أطرافٍ أُخْرَى (وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ) ماذا يفعل الناس اليوم؟ إن أصابته حسنة تفوق، أخذ شهادةً غُلِيًا، تزوج نجح في زواجه، عمل عملاً فحَقَّقَ ربحاً، تقول له: ما شاء الله مُبارَكُ هذا التفوق كيف حصلته؟ يقول لك: درست، تعبت كثيراً حتى وصلت إلى هنا، لا تظن الموضوع سهلاً، مباشرةً من غير أن يشعُر يعزو الفضل إلى نفسه، فإن وقع في مصيبةٍ أو في سيئة، تقول له: لماذا فعلت كذا كيف خسرت؟ يقول لك: والله هذه من الله، لأنه لا يُريد أن يتحمَّلَ المسؤولية، هو يُريد أن يحمل مسؤولية النجاح أنا نجحت، لكن مسؤولية الفشل يُريد أن يُحمِّلَهَا على جهة.

نحن نؤمن بالقَدَر لكننا لا نتَحَجَّج به:

نحن نؤمن بالقَدَر لكننا لا نتَحَجَّج به، الإيمان بالقدر شيء وتبرير التقصير بالقَدَر شيء آخر، الإيمان بالقَدَر مطلوب، وتبرير التقصير بالقَدَر مذموم، كل ما وقع حتى إذا ترك واجباً شرعياً يقول لك: الله لم يأذن لي، الله ما أراد لي.
روي أنه جيء برجلٍ شارِبٍ للخمر إلى أحد الخلفاء، فقال: < لأنه يُحمِّلُ معصيته للقَدَر ويُبرِّر معصيته بالقَدَر.
أُثِمَّا الإخوة الكرام: إن أصابت الإنسان سيئةٌ يتعلَّلُ دائماً بالعوامل الخارجية، ظلموني تأمروا عليّ، فإن لم يجد سبباً يُعَلِّقُ خطأه عليها، يقول: هذا من القَدَر، أو يتجرأ أكثر فيقول: هذا من الله! الفعل فعله أنا لا دخل لي، ما هذا الاجترار على الله تعالى؟! أن يُحمِّلَ فشلنا على خالقنا حاشاه جلَّ جلاله.

أول ما عُصِيَ الله به في الأرض معصيتان:

أُثِمَّا الإخوة الكرام: أول ما عُصِيَ الله به في الأرض معصيتان:

المعصية الأولى معصية إتيان:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35)

(سورة البقرة)

لآدم وزوجه فاقتربا وأكلا.

المعصية الثانية معصية ترك: قال لإبليس اسجد، قال: لا أسجد، ترك، واحدة إتيان وواحدة ترك، ما الذي حصل بعد ذلك؟ معصية آدم وزوجه ومعصية إبليس، ما الذي حصل بعد ذلك؟ آدم وزوجه تحمَّلا المسؤولية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ رَبَّنَا طَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23)

(سورة الأعراف)

فقط **(طَلَمْنَا أَنْفُسَنَا)** كان بوسعهما أن يقولوا: هو وسوس لنا الشيطان نحن لا دخل لنا، والله لو لم يوسوس لما أكلنا، كان بوسعهما أن يقولوا: نريد أن نكون من الخالدين، هناك مُبَرَّرٌ لهذه المعصية، يوجد مُبَرَّرٌ يوجد دافعٌ إيجابي، نريد أن نكوناً مَلَكِينَ، أن نكوناً من الخالدين، عندنا مُبَرَّرٌ، ولَمَّا قال لنا ذلك مُبَرَّرٌ آخر، نحن لا نعرف المعصية في الأصل، نحن أول مخلوقين في الأرض، ما عندنا معلومات عن المعصية فزلت قدمنا، أبداً ما قال آدم ولا زوجه أيُّاً من تلك المُبَرَّرات **(قَالَا رَبَّنَا طَلَمْنَا أَنْفُسَنَا)** تحملاً للمسؤولية فماذا حصل؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37)

(سورة البقرة)

لأنه تحمّل مسؤولية خطئه، ماذا فعل إبليس؟ إبليس لا يريد أن يتحمّل المسؤولية، بدأ بتعليق مُشكلته على طرفي آخر، المشكلة ليست عندي المشكلة عند آدم، كيف المشكلة عند آدم؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَشْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۚ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (12)

(سورة الأعراف)

إبليس يتنصّل من مسؤولياته ثم يُحمّل مسؤولية ضلاله ومعصيته لخالقه والعباد بالله:
المشكلة عنده، لو كان من نارٍ لسجدت له لكن هو من طين، يريد أن يتنصّل من مسؤولياته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتُ طِينًا (61) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَخْتِنَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (62)

(سورة الإسراء)

المشكلة أنك كَرَّمْتَهُ عليّ أنا لا أسجّد له، لم يتحمل مسؤولية الخطأ، ما قال أنا أخطأت، أنا لم أسجّد، أنا عصيت الأمر، ظلمت نفسي، ما قال ذلك، ثم بعد ذلك زاد في السوء والعباد بالله، فحمّل مسؤولية ضلاله ومعصيته لخالقه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ قِيمَا أُغْوِيْنِي لِأَفْعِدَنَّ لَهُمْ سِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16)

(سورة الأعراف)

(قِيمَا أُغْوِيْنِي) أنت أغويتني **(لَأَفْعِدَنَّ لَهُمْ سِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ)** وبدأ بتعميم المعصية، سأضلّهم سيّلاً ذرية آدم، لم يتحمل المسؤولية فكان إبليس اللعين، وكان آدم وزوجه في مكانهما الغليّ، أبو البشر وأما حواء لأنهما تحمّلا المسؤولية من اللحظة الأولى **(رَبَّنَا طَلَمْنَا أَنْفُسَنَا)** لا تتعلّل بشيء، قل أنا أخطأت، أنا ظلمت نفسي، أول طريقٍ لتصحيح المسار أن تتحمّل مسؤولياتنا.

عدم الشعور بالمسؤولية له سببان كبيران:

أُثِمَا الإخوة الكرام: عدم الشعور بالمسؤولية له سببان كبيران اسمعهما مئّي:

السبب الأول الشعور بالضعف:

السبب الأول: الشعور بالضعف، أنا ضعيف لا أستطيع تحمّل المسؤولية، هذه نسميها اليوم من شباب صار عُمره خمس عشرة سنة أو ست عشرة سنة، ويقول لك: أنا ما زلت صغيراً، أي أنا ضعيف لا أستطيع تحمّل المسؤولية، من أنا حتى أحمل المسؤولية؟ فُلْ ذلك للحُكَّام أنا أحمل المسؤولية؟ فالسبب الأول الشعور بالضعف.

السبب الثاني الشعور بالكبر وتضخّم الذات:

السبب الثاني بعكسه تماماً، الشعور بالكبر وتضخّم الذات (أنا خيّر منهُ) فالأول يقول أنا ضعيف لا أحمل المسؤولية، والثاني يقول أنا عظيم لا أخطئ، وكلاهما لا يتحمّل المسؤولية، العظيم لا يُريد تحمّل المسؤولية لأنه لا يُخطئ، أنا لا أخطئ، والضعيف لا أقوى على تحمّل المسؤولية، أعط نفسك مكانها الحقيقي، أنا لست مُنكبراً لكنني لست ضعيفاً، أنا قويّ بقوة الله أحمل المسؤولية إن شاء الله، أحمل مسؤولية أعمالي، مادام الله أعطاني أداة التكليف، فإنني قادرٌ على تحمّل المسؤوليات، ينتج دائماً عن هذين السببين الشعور بالمظلومية، الشعور بالمظلومية دائماً يمنع الإنسان من تحمّل مسؤولياته، أنا مظلوم، أنا ضعيف، أنا مُتأمرٌ عليّ، الكل يتأمرون عليّ.

انظروا الآن بينكم لعلّ بينكم مُدرّسين وأنا كنت مُدرّساً، كيف الصغار دائماً ببساطتهم يتغلّبون من تحمّل المسؤولية بعدة أساليب، أحد الأساليب تعميم الخطأ، كنت أقول للطلاب: من لم يكتب الوظيفة؟ فيقوم طالبٌ ويقول: لم نكتبها، أنت وحدك لم تكتبها، لكنه يشعر بارتياح إذا كان الجميع لم يكتبوها، لأنّ المُدرّس لن يُعاقب الصف كاملاً، لم نكتب، أقول له: فُلْ لم تكتب أنت، أنت لم تكتب يا بُني لماذا تقول لم نكتب؟ من أخبرك أنهم لم يكتبوا؟! هو يُريد أن ينجو من المسؤولية، هذا الأسلوب قال فيه القرآن الكريم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَنْ يَفْعَلَهُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (39)

(سورة الزخرف)

تعويم الخطأ لا يعني أنه صواب:

مهما كنتم كثيراً سَعْدَبُونَ، تعويم الخطأ لا يعني أنه صواب، كيف ينجا الطلاب من تحمّل المسؤولية؟ الشعور بالمظلومية، أستاذ أنا لم أكتب الواجب لأنه كان عَمِّي عندما أمس وتأخروا بالذهاب، هذه الأساليب البسيطة التي يفعلها الصغار ببراءتهم، ويجب أن نُعلمهم أن لا يفعلوها حتى يتحمّلوا المسؤولية، يفعلها الكبار لكن بشكل مخفي بحيث لا نصِل إلى مُبتغاهم، يتعلّل بأي شيء حتى لا يقول لك أنا أخطأت، فُلْ أنا أخطأت، أنا بشر أخطئ وأصيب، أخطأت في هذه المسألة يا أخي، وتحمّل مسؤولية عمليّ.

أيها الإخوة الكرام: انظروا إلى هذا الرّجل كيف تحمّل المسؤولية، يروي أنس بن مالك رضي الله عنه فيقول:

{ بَيْنَمَا تَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ، دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ، فَأَنَاحَهُ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَّكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ، فَقُلْنَا: هَذَا الرَّجُلُ الْأَبْيَضُ الْمُتَّكِئُ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ أَجَبْتَكْ، فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي سَأَلْتُكَ فَمَسَدَدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَلَا تَجِدْ عَلَيَّ فِي تَفْسِيكَ، فَقَالَ: سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ، فَقَالَ: أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ، أَلَلَّهَ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ؟ فَقَالَ: اللَّهُمَّ تَعَمْ، قَالَ: أُنْشِدُكَ بِاللَّهِ، أَلَلَّهَ أَمَرَكَ أَنْ تُصَلِّيَ الصَّلَاةَ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ تَعَمْ، قَالَ: أُنْشِدُكَ بِاللَّهِ، أَلَلَّهَ أَمَرَكَ أَنْ تَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ تَعَمْ، قَالَ: أُنْشِدُكَ بِاللَّهِ، أَلَلَّهَ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَانَا فَتَقْسِمَها عَلَى فُقَرَائِنَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ تَعَمْ، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَمَنْتُ بِمَا جِئْتُ بِهِ، وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي، وَأَنَا ضِمَامٌ بِنُ تَعْلَبَةَ أَوْ بَنِي سَعْدٍ بِنِ بَكْرِ {

(صحيح البخاري)

لم يكن لرسول الله مجلسٌ خاص، كان بين أصحابه واحداً منهم.

البدء بالهدم قبل البناء:

{ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: بَعَثَ بَنُو سَعْدِ بْنِ بَكْرِ ضِمَامَ بْنَ تَعْلَبَةَ وَافِدًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ، وَأَنَاحَ بَعِيرَهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ عَقَلَهُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ فِي أَصْحَابِهِ، وَكَانَ ضِمَامُ بْنُ تَعْلَبَةَ رَجُلًا جَعَدَ الشَّعْرَ ذَا غَدِيرَتَيْنِ، قَالَ: فَأَقْبَلَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

الله عليه وسلم: أنا ابنُ عبدِ المطلبِ، قال: مُحَمَّدٌ؟ قال: نعم، قال: يا بنَ عبدِ المطلبِ، إني سَأَلْتُكَ وَمَغْلِطُ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ؛ فَلَا تَجِدَنَّ فِي نَفْسِكَ، قال: لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي، سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ، قال: أَتَشُدُّكَ بِاللَّهِ إِلَهَكَ وَإِلَهُ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، وَإِلَهُ مَنْ هُوَ كَائِنْ بَعْدَكَ، أَلَلَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نَعْبُدَهُ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ نَخْلَعَ هَذِهِ الْأَوْتَانِ الَّتِي كَانَ آبَاؤُنَا يَعْبُدُونَ مَعَهُ؟ قال: اللَّهُمَّ نعم، قال: فَأَتَشُدُّكَ بِاللَّهِ إِلَهَكَ وَإِلَهُ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، وَإِلَهُ مَنْ هُوَ كَائِنْ بَعْدَكَ، أَلَلَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تُصَلِّيَ هَذِهِ الصَّلَاةَ الْخَمْسِينَ؟ قال: اللَّهُمَّ نعم، قال: ثُمَّ جَعَلَ يَذْكُرُ فَرَائِصَ الْإِسْلَامِ فَرِيضَةً فَرِيضَةً: الزَّكَاةَ، وَالصَّيَامَ، وَالْحَجَّ، وَشَرَائِعَ الْإِسْلَامِ كُلَّهَا، يُنَاشِدُهُ عِنْدَ كُلِّ فَرِيضَةٍ كَمَا يُنَاشِدُهُ فِي الَّتِي قَبْلَهَا، حَتَّى إِذَا فَرَغَ قال: فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَسَأُؤَدِّي هَذِهِ الْقَرَائِنَ، وَأَجْتَنِبُ مَا نَهَيْتَنِي عَنْهُ، ثُمَّ لَا أَزِيدُ وَلَا أَنْقُصُ، قال: ثُمَّ انصَرَفَ إِلَى بَعِيرِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنْ يَصْدُقْ ذُو الْعَقِيصَتَيْنِ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ، قال: فَأَتَى بَعِيرَهُ فَأَطْلَقَ عِقَالَهُ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى قَوْمِهِ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَكَانَ أَوَّلُ مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قال: يُنْسَبُ اللَّاتُ وَالْعُزَّى، قالوا: مَهْ يَا ضِمَامُ! اتَّقِ الْبَرَصَ، اتَّقِ الْجُدَامَ، اتَّقِ الْجُنُونَ، قال: وَبَلَّكُمْ! إِنَّهُمَا وَاللَّهِ مَا تَضُرَّانِ وَمَا تَنْفَعَانِ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ رَسُولًا، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا اسْتَنْقَذَكُمْ بِهِ مِمَّا كُنْتُمْ فِيهِ، وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَقَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِهِ بِمَا أَمُرُكُمْ بِهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنْهُ، قال: فَوَاللَّهِ، مَا أَمْسَى مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي حَاضِرَتِهِ مِنْ رَجُلٍ وَلَا امْرَأَةٍ إِلَّا مُسْلِمًا، قال ابنُ عَبَّاسٍ: فَمَا سَمِعْنَا بِوَأْفِدٍ قَطُّ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ {

(أخرجه أحمد والطبراني)

بدأ بالهدم قبل البناء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (256)

(سورة البقرة)

يجب أن يهدم الأصنام في داخلهم حتى يبدأ البناء، قال: (يُنْسَبُ اللَّاتُ وَالْعُزَّى، قالوا: مَهْ يَا ضِمَامُ! اتَّقِ الْبَرَصَ، اتَّقِ الْجُدَامَ، اتَّقِ الْجُنُونَ، قال: وَبَلَّكُمْ! إِنَّهُمَا وَاللَّهِ مَا تَضُرَّانِ وَمَا تَنْفَعَانِ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ رَسُولًا، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا اسْتَنْقَذَكُمْ بِهِ مِمَّا كُنْتُمْ فِيهِ، وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَقَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِهِ بِمَا أَمُرُكُمْ بِهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنْهُ) أنا رسولُ إليكم.

انظروا كيف تحمّل المسؤولية! يقول راوي الحديث: (فوالله، ما أَمْسَى مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي حَاضِرَتِهِ مِنْ رَجُلٍ وَلَا امْرَأَةٍ إِلَّا مُسْلِمًا) أسلم قومه كلهم، قال ابنُ عَبَّاسٍ: (فَمَا سَمِعْنَا بِوَأْفِدٍ قَطُّ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ) تحمّل المسؤولية، نحن بحاجة اليوم إلى جيلٍ يحول المسؤولية.

هل انتهى الكلام؟ لمَّا ينتهي ولكن انتهى الوقت، تُتابع إن شاء الله في الخُطبة القادمة الحديث عن كيف، لم نتحدّث عن كيف، تحدّثنا عن لماذا نحول المسؤولية؟ وما هي المسؤولية؟ وكيف وضعنا القرآن أمام مسؤولياتنا، لكن كيف نتحمّل المسؤولية؟ كيف تُربّي أنفسنا وأبنائنا على تحمّل المسؤولية، هذا في الخُطبة القادمة إن شاء الله.

أُبها الإخوة الكرام: حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسِبوا، وزِنوا أَعْمَالَكُمْ قبل أن تُوزَنَ عَلَيْكُمْ، واعلموا أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ قَدْ تَخَطَّأَ إِلَى غَيْرِنَا وَسَيَتَخَطَّى غَيْرِنَا إِلَيْنَا فَلِنَتَّخِذْ حِذْرَنَا، الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَتَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي، واستغفروا الله.

الحمد لله ربِّ العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وليُّ الصالحين، اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمدٍ وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميدٌ مجيد.

الدعاء:

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنك يا مولانا سمعٌ قريبٌ مجيبٌ للدعوات.

اللهم برحمتك عُمَّنا، واكفنا اللهم شرًّا ما أهُمَّنَا وَأَغَمَّنَا، وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسنة توفّقنا، نلّناك وأنت راضٍ عَنَّا، لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنَّا كُنَّا مِنَ الظَّالِمِينَ، وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

وارزقنا اللهم حُسْنَ الخاتمة، واجعل أسعد أيامنا يوم نلّناك وأنت راضٍ عَنَّا، أَنْتَ حَسْبُنَا عَلَيْكَ اِتْكَالَنَا.

اللهم لك الحمد على ما أُنعمت به علينا من نعمة الغيث، من نعمة المطر من السماء، فَأَتِمِّ اللّهم نعمتك علينا بفضلِكَ وكرمِكَ يا أرحمَ الرّاحمين، اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اسقنا الغيث واجعلنا من الشاكرين الحامدين، لا تُهلِكنا بالسنين ولا تُعالمنا بفعل المُسيئين.

اللهم كُنْ لأهلنا في الخيام، كُنْ لأهلنا في كل مكان، كُنْ لأهلنا في غُرّة، كُنْ لأهلنا في السودان، كُنْ لَهم عونا ومُعِينًا، وناصراً وحافظاً ومؤيداً وأميناً.

اللهم أطعم جائعهم، واكسّ عريانهم، ودقّق برحمتك بردانهم يا أرحمَ الرّاحمين، إنك وليُّ ذلك والقادر عليه.

اللهم اصرف عنهم كل سوء، اللهم عليك بقن ظلمهم، اللهم عليك بقن استباح دورهم ودماهم وأعراضهم اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك.

اللهم عليك بالصهيانة المُعتدين المجرمين، اللهم عليك بالصهيانة وعليك بالمنافقين وعليك بكل من ولاهم ووقف معهم يا أرحمَ الرّاحمين.

اللهم هبْ لهذه الأمة أمرٌ رشيدٌ يُعزّ فيهِ أهل طاعتك ويُهدى فيهِ أهل عصيانك، ويؤمّر فيهِ بالمعروف ويُنهى فيهِ عن المنكر، واجعل بلادنا أماناً سَخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين، ووفق القائمين عليها للعمل بكتابك وسنتك نبيك صلى الله عليه وسلم، ورزّ عن بلادنا كيد الكائدين ومكر الماكِرين، إنك وليُّ ذلك والقادر عليه، والحمد لله ربِّ العالمين.